

شراع و عاصفة

محمد إبراهيم عيَّاش



0187261

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA

Bibliotheca Alexandrina

شعر

- محمد إبراهيم عيَّاش -

شُرَاحٌ وَعَاصِفَةٌ

- شعر -

من منشورات اتحاد الكتاب العرب

١٩٩٨

الحقوق كلفت
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

تصميم الغلاف للفنان ، اسماعيل نصرة

يموج على جسدي الانتماء
ويغرقني الوهم،
في أبحر الأمنيات.

أفكّ ارتباطي،
بلحن الغروب
وأرفع ظلي.
أعانق عند ابتداء التصعلك
أعمدة القهر
أبني على جسد الضلع،
أفئدة من هواء.

وأسرح بين ضياء البروق،
وشمس الشروق
وأرخي العناق لطفلة روحي،
وأمشي على قهقهات التسكع،

فوق جيبني،
خطوط،
وفي
زفير النسوى
وفي داخلي،
المُزْنُ والاشتعال.
وأنفاس حلمي
يرافقها مارِدٌ مِنْ رَمَادٍ.

♦♦♦♦♦

// مساءات اليوم الآخر //

الوقت يزرع في وعاء الصمت،
أغنية اليتامى،
والطريق تتوه، بين سنايل الأحياء،
أو قل:

تختفي كل الدروب،
مع المساءات الحزينة،
ساعة،
تشدو المدينة،
دون موسيقى،
وساعات،
تتاجي عالم الأموات،
والقبر استعادته الحقيقة
والخيال أساور امرأة،
تتصّب للجمال.

للوقت أسماء،

وللأسماء،

آلاف الينابيع الغزيرة

والمياه، تغور في شفة السؤال،

ما زالت الأنوار تستعلي،

ولكن،

دون مسّ بالنوى

دون اشتهاً

في موسم الإحدا ب؛

ترتفع المياه،

ولا سلام بين ماء البحر،

والسهل المغطى باليباس،

فما تزال النار تستهوي بساتين الحزانى،

والدروب تشعبت.

وعواصف الصحراء،

تقتلع النخيل.

كل النساء القادمات،

زوابع،

والعري،

أنثى،

من خريف الموسم الآتي

ومن دمع السماء.

القادمون إلى المدينة،

ثَلَّة

والهاربون مع الرياح،

قوافل

والقاعدون،

يعانقون الصمت،

والدنيا،

رداء الغضب

♦♦♦♦♦

// اللّوّداع حقيقة في جعبة

المطر //

إلى والدي الذي عاش يفتش عن السعادة لأولاده، وأفنى
عمره يبحث عن الحقيقة التي غابت عن أعين الكثيرين.
عاش كغيره من أبناء جيله الغرباء الذين تواصلت الدنيا
في عيونهم ليوفروا لنا ويقتصدوا على أنفسهم.
رحل رحمه الله وقلبه مطمئن، وروحه تتاجي خالقها بعد
أن طمأن النفس البريئة بحقيقة مبتغاه.
وقد لاقى وجه ربه مساء يوم الثالث عشر من تشرين
الأول سنة ست وتسعين وتسعمائة وألف.
رحمه الله وأدخله فسيح جنانه.

قبل أن أكسر صمت الصمت،

أعلنت انحنائي،

لنداءات،

لقد حان الرحيل.

وتقاسمت مع الباب،

لهات النفس الصّاعِد،
حين انشقت الأسماع،
للروح طريق...
والمسافات،
تتادي ظلّها الممدود في جثته..
والأرض حبلَى ببقايانا
وقد حان الوعيد.
صورة للأرض،
فوق الماء،
والأفواه عطشى،
ورذاذ النفس العائد
لا يكفي،
فإن الصّدر فوق الموج،
للبحر فضاء
خرجت تسبح في الرّيح،
إلى العرش،
إلى ربّ السماوات،
ونور الانتهاء.
حملت أنفاسه الأعوام،

في لحظة وقتٍ،
ليرى من فتحة العمرِ،
طريقَ الإبتداءِ.

كان رسماً،
وأراه الآن إسماءَ.
كان جسماً،
وأراه الآن جرحاً،
ينزف الأيامَ،
مع نزف الدماءِ.

رفعَ الكفينِ
/حين امتثل الموتَ/
إلى الأعلى،
ونادى:

اتركوني، أرحل اليوم إلى الله،
إلى دار القرارِ.

ودّع الدنيا،
وأرعى جسداً للعشقِ،
كانتْ سكراتُ الموتِ،
في أولِ برزخِ.

وَلَعَمْرِي!

إنما الدُّنْيَا رداءٌ،
لوجود عائق الضَّوءِ،
وظلُّ لبقايا غرباءِ.

حلَّقتُ في العالمِ العلويِّ،
تلكَ الرُّوحِ،
في بقعةٍ حزنٍ وارتضاءِ.

كلَّهم كانوا حزاني،
يرقبون المبوَّتِ،
إلا قهقهات الرِّيحِ،
كانت ترسلُ الأمواجِ،
في لحظةٍ صمتٍ،
كانت الأحلام في صدري بركاناً،
ولا صوت لشحورٍ،
فقد حلَّ المساءُ

غرسَتْ أغصانهُ الخضراءُ في العمقِ جذوراً،
أثمرتْ للوقتِ،
وامتصَّتْ مِنَ الأرضِ النِّقاءَ.

عندما أقبلتِ الرِّيحُ،
تھاوت غرسة،
صارت رداءً للذَّمِ القاني،
وظلاً للرَّمَاذِ.

وتوارتْ بهجة الأيام،
في مقبرة،
ترقص للموتِ،
وغاب البدر من بعد التَّمامِ.

وأبي ما عاش إلاّ
لحظة الموتِ،
ودقاتِ الزَّوالِ.

وأرى من فسحة الحلم،
نداءً أزيلتاً:
كلّ ما كان على الأرضِ هواءً،
والذي رتبَ هذا الكونَ،
باقٍ،

في الأراضينَ،
وفي كلّ سماءٍ.

حينما قابلته،..
في آخر الأوقات،
أرخى عقله للذكريات.
ودعاني؛

لأرى ما لا يرى،
في باطن العقل،
وفي عمق الحياة
وأراني عاديّات الدهر،
فوق الشاشة البيضاء،
والدنيا على الدوّلاب تمشي،
حينما كنت صغيراً،

أشتري من سلّة /البياع/ أحلامي
وأمتص مع الحلوى،
رباط العُمر،
والعُمرُ بطيء الأمنيات..

١٥-١١-١٩٩٦

// وجع في خاصرة //

أغفو على أنقاض صمّتي،
ساعة،

استلّ من وجعي،
شرارة صحوّتي
إنّما تمّد في الوريد،
وأينع الثمر الحزين بغصن شرياني،
وأوردتي يدغدغها الردى.

وتلاقحت بين انطباق الجفن والعين،
افتراضاتي،
تناولت القصيدة؛
أحتمي بردائها المنسوج من غضبي،
ومن صمّتي،
ومن قطر الندى،

وأسير وحدي،
تحت ضوء غار في نفسي،
وأعلنت البداية،
لاحتراقي موقدا،
وتغيب مثل الشمس أحلامي،
وأحلام البلاد،
وتنتهي عند امتداد الريح والأمواج،
ترتعد المدائن والسهول،
ويكتسي زمن التراخي والجفاف،
رماده المسقوف،
في عين الحقيقة،
تبدأ الكلمات،
تخرق التساؤل والنّدا

أسلمت للريح انفعالاتي،
وأطلقت العنان لريشتي،
فتعثرت بوعورة الحرف المنضد،
والطريق بعيدة،
ما بين قرص الشمس والحراس،

ما بين الحقيقة والخيال،
وبين جدران الصعود تمرّدا.

لا شيء أغلى من هواء،
بعد أن سكنت بجوف الصدر،
أبخرة السكون،
تتأثرت عند امتداد الضوء،
أشلاء الغبار بيدر،
مطرية أيامه،
احتقنت بإحصاء السماء،
وكونت ظلاً ظليلاً أسوداً.

من أين أبدأ؟
والسؤال مبعثر!!
دوسي على سمعيه يا أشعار،
والتهمي الجواب،
فإن في الأنفاس متسع،
لأسئلة المدى

مِنْ أَيْنَ أَبْدَأُ...؟
والنجوم تباعدت!!
والبحر عكره التموج،
والدخان يعيث في قلب الفضاء،
مُعْرِبِداً.

ماذا لو انتعلتْكَ أحذية اللئيم،؟
وداعبتْكَ أصابع التّين،؟
والناس استعادوا؛
سيرة التطبيل والتّرمير،
تستهويهمُ الغجريّة البلهاء،
عند تفتح الشهوات،
وانطبق الفؤادُ على الفؤاد،
استيقظتْ عند الصّباح،
وأشعلتْ في الصّدرِ
قنديل الهدى.

♦♦♦♦♦

- قانا تولد هن جديدا -

- ١ -

حينما طبقت الأرض على جدران روعي،
ورمت أرجلها الدنيا على جسمي،
تململت،

ولكن دون جدوى،
فغبار الطلع يمتد،
ويزداد امتدادا
وأرى من فتحة الآلام أحلاماً،
وأغفو دون وعي،
استبين الجسد الممتد،
من أول مشهد
يبدأ العرض بلحن عربي،
يرتدي ثوباً من الديباج،
والأنفاس تصاعد

من بين الشّفاء القرمزيّة

- ٢ -

دارت الدّنيا،

أمامي،

طفلة لا تعرف الحقّد،

ولا الخوف

وخلفي ألف ذنب يتوعّد.

- ٣ -

ارفعوا الأغلال عني،

واتركوني

لأرى من حلمة النّهر حياتي،

وأرى آخر جرح عربيّ

/قبل أن تطبق أجفاني/

على الأخشاب،

أمضي دونما ثوب،

وأرخي جسداً للريح عند النّهر،

أرمني جثتي بين العذارى،

دون قيد أو حساب

-٤-

أَتَلَقَى،..
مَنْ خِلالَ الْمَشْهَدِ الثَّانِي
نِدَاءً:

أَوْقُظُوا هَذَا بُكَاسٍ مِنْ نَبِيذٍ.
تَتَزَفُّ الْغَيْمَةُ فِي كُلِّ فُصُولِ السَّنَةِ الزَّرْقَاءِ،
سَيْلاً مِنْ دَمَاءٍ.
وَعَلَى الْأَرْضِ صَفَةُ الْعَمِيَاءِ،
جَاءُوا بِأَكَالِيلٍ مِنَ النَّعْنَاعِ وَالزَّرْعَتَرِ،
حَطَّوْهَا عَلَى قَبْرِ شَهِيدٍ،
أَوْقَظْتُهُ الْغَارَةُ الْأُولَى،
وَصَارَ الْقَبْرُ مِنْ دُونِ غَطَاءٍ.

-٥-

/ دَثْرُونِي /
قَبْلَ أَنْ يَنْفَتَحَ الْجَرَحُ،
فَإِنِّي لَغَةِ الْمَوْتِ
وَإِنْ فَارَقَهُمْ هَذَا الرَّعَافُ.

عَتَمُوا قَبْرِي بِأَشْيَاءٍ رَمَادِي،

واتركوني ألدُ الآن،
فإنني لا أرى بداً من النوم العميق.
ست دقائق
تلتها دقة
وارتفع النهر،
وطافت فوق وجه الماء،
أشلاء الزهور.

ويهوذا ينشر الرعب،
على أفئدة العالم،
والشرق الوعاء
وبنات الفرح المنسي،
يلبسن رداء العيد،
فالوقت بقايا من حريق.
أوقدوا للعيد ناراً
وارفعوا الأطباق
فالموت تدلى،
افتحوا أقبية الموت،
فقد يبتدىء العنف،
على درب من الشوك

على أرصفة اللّحن المراهق.
كان لا بدّ من الزهد،
فإنّ الماء يغلي،
والدماء ابتدأت لحن الرجوع.

-٦-

وتدور الساعة الخرساء،
والوقت تلاشى،
وعلى قمة هذا الجبل الممتد،
نيران،
وغيم،
ودخان
كان نيسان على السّفح يصلي،
وبريق العيد آت،
ربّما أخره الوقت،
وسواه بأصوات المدافع
وأنين الخوف في معصمه الناري،
في زند الضحى.
والأرجوان استتفرتة الريح نحو البحر،
والغيم تلاشى بين أفخاذ الجبال.

-٧-

كيف لا يُعرفُ للسُّمتِ مكانٌ،
بين أشلاء الضحايا،
وصير أخ النَّفسِ المَخنوق من أناتها،
نمى حنين العطر في حبّ الندى
عند اللقاء.

-٨-

في فصول الرّعب،
كانت وحدها الشّام تصلي،
عند محراب الغروب.
وعلى بوابة الأقصى،
يهودا جائع للموت،
يمتصّ دماء العشّاقين

لم يجذّ عند قدوم اللّيل أفقاً،
ينتمي لّيلة الحمراء،
لا فرق،
فإنّ التّيه في صحراء موسى،
زراع البعد،

وكانت فرقعات العيد،
عربون الحصاد
وعلى التفاحة الحمراء،
أسماء البدايات،
وأنثى للفساد.

- ٩ -

ويجيء الطفل ممهوراً بلون البذر،
مشحوناً بنور الكهرباء،
صرخ المدفع،
والعيد تلاشى
سمّروا الوقت بأعواد من الكبريت،
والصبح بقايا من حطب.
بعدها،

لا يعرف الموقف إلا الله والريح،
وأحلام فتاة
عانقتها ليلة العري،
على شطّ الفرات.
ونداء من أعالي النيل آتٍ،
من وراء الأفق المجروح

والليل تربي في قوارير النساء.

- ١٠ -

غسلت أدمعة العشاق،
آثام البلاد.
وبقايا جثث الأطفال،
يعلوها ركام من رماذ.
ورؤوس أئنت للقطف،
ما زالت على أرصفة العنف،
وآلاف السبايا
زفها صمت الصباح.

وتدور الليلة الحمراء،
والدنيا على دولاب سحر غجري،
رقصت أرقامه السوداء،
في دائرة العشق الترابي الوليد.

- ١١ -

خيئت أعمدة الصمت على الجسم المسجى،
وعيون تذرف الدمع

وأعصاب جسوم باردة.
كانت الأزهار تمشي
/وعلى نقر دقوف الفرح المنسي/
فوق الماء،
والعُمُرُ على كف غريب
صرخة من دمناء المسفوح،
في الأسفار،
موجات من البحر
ومن أنفاس هاييل وآدم

- ١٢ -

كيف لا أسكر من خمر الجنوب
والعناقيد تدلت من بساتين الفضاء؟
كيف لا اشرب من زعتره البري،
أحان الصبایا
وأبي كان يصلي بين أشجار الصنوبر؟

- ١٢ -

لا تعدوني وحيداً،
فبقاياي وأنفاسي على الدرب

تعدّ الزّيد الآتي من البحر
تعدّ الجثث
الموتى
وللقبر فضاءً
وورثتُ الحزن مزروعاً،
على أسطحة الخمسين حقلاً،
وتجمعتُ أداري غضبَ الموج،
وأعوام الحصاد.

هُرِعَ البحرُ،..
وكانت جثث الموتى على شطآنه تزرَق،
والشمس على أجسادهم،
تلهو مع الإعصار،
والقوس تراخى.
وشعوب أنعم الله عليها،
تستعير النفس المجذوم،
من أقبية ملأى بحُبّ الأرض،
تأتيك الدّماء على جناح النفس الهارب من سجّانه،
والأرض حُبلى.

ويجيء الصبح من دون ثياب
والمساء العربي التحف الرمل
وما بان الهلال
وعلى طول المسافات،
وجوه خطت للحرب،
ساوت بين ما يحدث في بيروت من قتل،
وما يجري على أرض البسوس.
وأرى الأطفال يبنون من العيدان بيتاً،
وتجيء العاصفة.

متقل بالهم،
والأقمار في قانا تدير الحرب،
والوقت يمد الشهوة العمياء،
والأرواح تصاعد نحو الله،
من بين الرماد.
وتلاميذ يهوذا،
ينسجون الثوب من خيط تدلى،
أتراهم!

يشربون الماء من صرخة رعد،
بأكفَ بَسَطَت كل الأصابع؟!
أم تراهم!....
يعقدون الدبكة الآن
على ألحان ضيف قروي
عاد من مشواره..
يمشي على عكازة الصبح المهاجر.

- ١٥ -

افتتح جلسة هذا اليوم،
لا تنس التماسات الأقارب.
والتمس - من ساسة البلدان - عذراً
وانشر الرعب،
وباسم الأمن،
جهاز فرقة من فرق الإنقاذ،
فالإرهاب قد عم العواصم.
واسترح في آخر الشرفة،
تلق الموج مذعوراً،
وتلق البحر بالأمواج عائم.

بعد أيام تدور الانتخابات،
فهيء صفقة للخوف
واعبر بين أجساد الصناديق،
وجدد كفنًا للموت من بيروت،
وادفن حكمة الله،
على أرض الجنوب.
ويجيء الوفد من حيفا
وفي جعبته التوراة،
والحاحام في حضرته وحيّ ،
وأسماء يهوذا،
ازرعوا فالموسم الآتي حصاد.
لم تبخ بيروت بالسِرّ،
فقد داهمها البؤس
وأرخی في ثنّيات صياها
وجع النوم
وبؤس اليقظة.
لم تعد بيروت أسرار الحكايات،
وآلام المسرات
وبنت الشفقة

لم أجدُ عند ارتحالي عن مرافئها
بحاراً تحمل الرّبانَ
والأيامُ سكرى بالعواصفُ
هي بيروتُ،
أرى فيها حياتي
وأرى في ظلّها الهادي حكاياتي،
وفي خضرتها نسج الحياة الهادئة.

- ١٧ -

سقطت أعمدة النور،
بأعماق البحار.
ودموع القمر المجروح،
أنهار دماء،
وتلاوات صلاة.
جذّولوا أسماءكم قبل سقوط الموت،
في مدخنة النيران،
فالدنيا سياج من لهب.
واصفعوا الصبح ببرق شتوي
وانسجوا من /جمة الريحان/ في قانا
ثياباً لمساءات الطرب.

علّقوا فوق جدار الليل،
مصباح انتظار.
واغسلوا الأدمغة الحمراء،
واسترخوا على قطعة جسم عربي،
واكتبوا إعلانكم،
من صرخة أنثى
على أجنحة الطير المسافر.

- ١٨ -

تلدُ الغيمة تفاحاً ولوزاً،
ويجيء الريح،
تغدو الأرض قنديلاً لأحلام اليتامى/
بعد أن يغمرها الطوفان،
تمتد خلايا لحنين الأم،
تشوي جسد اللحن،
على نيران دُفلى.
والنخيل الباسق الشمسي يجثو،
/بعد أن فرقة البعد/
حنيناً لإله التمر - اللّطين،
لربّ التائهين.

ويريدون انفجار الطلقة الأولى،
تماماً عند حدّ السيف،
في البصرة،
أو في نهر دجلة.
ضمّرت أجنحة النسر،
وما بانّت على الجوّ الحرائر.
واستبيح الوطن السفلي،
والحقْل مشاعً
موسمٌ يحصده المأمور،
والباقي حرير وضرائب
واستباحوا كلمات العُري،
مدّوا جزر البحر بآلاف الثعالب.

حَمَلَتْ أَسْمَاءُنا الرِّيحُ،
إلى الرَّمْلِ،
وبتّا نزرع الشَّمْسَ،
على أُرْدافِ بنتِ غَجْرِيَّة.
وتلوّنا بلون الشَّاشَةِ،

اعتدنا على قطفِ المسراتِ،
ويمتدّ النداءُ،
تطفأُ الأنوارُ،
لا يبقى سوى ضوءِ بحجمِ العرضِ،
والصّالة تكتظّ بحشدٍ القادمين.
وصراخُ الأمّ،
يمتدّ على أطراف زلزالٍ
مع الرّيحِ،
وأطفال على قارعة الجسمِ المسجّى،
والأب المنكوب،
/عند الأفق المكسور/
برقٌ شتويٌّ
فإذا أظلم قاموا
وإذا أصدر وهجاً،
دخلوا بين شقوق الأرضِ،
ظلت وحدها /قانا/ تلوكُ الحرّي،
تمتدّ على ظهر السّحابِ.

- ٢١ -

سمعته الرّيحُ يهّوي،

في جنون الغارة الأولى،
على أنجم صُبْح تتدلى،
من غصون الأبرياء.
وملأنا جوفنا من زرقاة البحر،
ومن أنفاس قاييل،
فقد مات أبو بكر،
وعادوا يشهرون السيف في وجه بلال.

- ٢٢ -

يطبق الصمت،
ويرتد صدى صوت المغني:
وحدها الشّام تصلّي،
وحدها الشّام،
بكشين تضحّي،
واحد عن عرب الأرض،
وكبش عن رجال
((صدقوا ما عاهدوا الله عليه))
إنه.. عيد الضحية
إنه.. أرملة العام،
بقايا كلمات،

كتبت فوق أنين الأرض،
في صمت الرماد.

- ٢٣ -

وعلى كل جدار عربي،
صورة لامرأة لا تعرف الحب،
ولا تستشق العطر،
ولا تلبس ثوب النوم،
فالليل تغذى سهر الأطفال،
والصبح بقايا في سراويل البنات.

- ٢٤ -

وينادي لصلاة العيد،
والحجاج يرمون الجمار،
وأبو جهل،
يواري جسد الشيطان،
عن رمي الحصيات،
وقد جاءوا بأمر صادر عن سيد الحرب،
بان:

لا رجم بعد اليوم:

فالرجم من الإرهاب،
والحجاج رواد سلام
عدّلوا الأركان:
فالدنيا على باب نظام عالمي مستتاب.

- ٢٥ -

ويجيء العيد محمولاً على الأكتاف
/من قانا/
بشوب أحمر (بيكي على الحلم المضاع).
غصت الساحة بالناس
وقد غادرها الأطفال
مثلى وثلاثاً ورباع.
وعلى مفترق الأقوال،
تاهت لغة الضاد،
وغارت في شقوق الأرض أحلى الكلمات.

- ٢٦ -

واعتلّيت الشارع المجروح،
أبني وطناً من علب الكبريت،
فوق الأرصفة.

في حدود اللامكان المنتهي،
بين دموع الحزن،
الآمال في زلزلة الغيب،
وفي عتمة غيمة.

شتمتني هذه الأرض
وصدري لم يكن إلا وعاء لاحتواء الرقم السريّ،..
في خاصرتي الوقت،
وفي فكري حروفٌ مقفلة،
موغلٌ في غابة الصمت،
على أجنحة اليأس،
وفي مركبة الليل المغادر

- ٢٧ -

وتجيء الرياح من قلب الصحارى
مقلاتٍ بالنعال.
كيفما تمضي تلاقي مدناً من ملح،
تلقى طرقاً من غبار.
وتلاقي لغة في دفتر العنف
بقايا من رماد.

التمسْ عُذْراً،
وباعدْ بين أفضالك يا بيتُ
وهيَّءْ مسكناً للاعترافِ
لا تقل:

للبحر موجٌ،
فالبهار ابتدأت شقَّ المسافاتِ،
إلى الشرقِ،
لتجتاح البوادي والقفارِ
ومن الأسرارِ،
ما أوقد في ذاكرة الحلمِ،
خفايا الانكسارِ.

١٩٩٦-٥-٢

♦♦♦♦♦

// عاصفة الضياع //

- ١ -

... وأودع الصحراء،
متجهاً إلى الشيطان،
فالشمس استعادت لونها الناري،
أذكر أنني،
خبأتها يوماً بلبّ الليل،
أذكر أنني واجهتها بحقيقة المشوار،
في وضوح النهار
أعدو..
وتسبقني المسافة
والطريق طويلة
والبحر يخفي ماءه...
خلف الجبال.
وأشم من خلف الستار،

ملوحة الأيام
والأوقات رطبها الندى،
وكأنني /والريح تصرخ/
/والسماء كئيبة/
ضيّعت خارطة الطريق
وربّما الأمطارُ
أُتلفت الزروع،
وغيّرت /بهجومها المجنون/
شكل الأرجوان،
وأفسدت ما نظمتهُ الأرضُ،
والحُرّاسُ،
يقتلعون أعمدة الرّخام،
والليل لا يخفي الحقيقة
خلف أسوار الظلام،
فللهار الشّمس
والإشراقُ
والفجر النديّ،
كان مزرعة الشّموع،
تزف أغنية الصّباح،

وللصباح رسالة الأمل الكبير،
وللعصافير استراحات المدى.

وأريد أن أتسلق الجدران،
فاللون الرمادي العقيم
أضاف للجسد النحيل العقم،
والرجل المكس،
يحتمي بمدينة الأحلام،
والأسوار عراها الخريف،
فلا تمدن السؤال
ولربما انتعلت أقدام الشظايا
لا بديل الآن،
لا تسأل عن الأسباب
فالثوار قد ركبوا الكابة
والغزاة يسحلون على الشريط
يمارسون الرعب،
في زمن التصحر،
والمياه تفور في بطن الخليفة،
والدموع تجف من مقل النساء.
تجف من عين السماء

ولابدل لفرحة،
تمتصّها شفة السّوال.

وأريد أن ألقى الجدار بلونه الأصليّ
أمحو كلّ ما كتبوا على صفحاته..
أحميه من زيف الشعارات المليئة،
بالعواطف والعظّات،

- ٢ -

ارداك حبّ الأرض،
والوطن المكهرب،
والطريق،
البعّد،
يرفس،
والدّواليب استعادت سيرها،
والزحف بارقة التأمّل،
والسماء شديدة الدوران،
والأشواق أغنية العصافير،
التي رحلت إلى المدن البعيدة،
تحتمي بمدينة الصفصاف،
شتتها صهيل الرّيح،

راحلة المدى
وملاحم التبديل؛
يأسرها الضياع.

- ٣ -

أَتَقَمَّصَ الْقَدْسَ الْجَرِيحَةَ،
وَالذَّمَاءَ تَنْزَ مِنْ جَبَلٍ / الْمَكْبَرِ /
وَالشَّهيدَ بِجَوْفِهِ...
ما زال حيًّا
يُمْسِكُ الْمَصْبَاحَ فِي يَدِهِ..
ويخفي تحت أجنحة اليد الأخرى
دماء الانتحار

وهُرَعْتُ حِينَ اهْتَزَّتِ الْأَرْضُ،
وَكَانَ الصَّوْتُ كَالزَّلْزَالِ،
يَخْرُجُ مِنْ شَفْوَقِ ثَرَابِهَا،
اللَّهُ أَكْبَرُ،
صِيحْتُ:

هل عرف الشهيد،
بأننا بعثنا دروع الحرب؟!!

أُمُّ إِنِّ الشَّهِيدَ،
قَدْ انْتَهَتْ أَحْلَامُهُ..
وَأَرَادَ أَثْمَانُ الدَّمَاءُ.؟!

-٤-

يَا لِلْفَجِيعَةِ!
إِنِّي قَدْ أَرْتَدِيكَ،
وَأَخْلَعُ الْإِيَّامَ عَنْ جَسَدِي،
وَأَرْتَشِفُ اللَّظَى،
لَتَغُورَ أَعْصَابِي بِيْطْنِ الْأَرْضِ،
وَالنَّقَارُ يَحْفَرُ جِبْهَتِي،
يَمْتَصُّ مِنْهَا الْكَبْرِيَاءُ

-٥-

سُحِبُ الْهُوَاجِسِ،
فِي سَمَاءِ حَقِيقَتِي،
وَقَوَافِلِ الشَّهْدَاءِ،
وَالصَّبْحُ الْمَغْبَرُ بِالظَّلَامِ
أَسْوَارُ مَمْلَكَةِ الظَّنُونِ تُحِيطَانِي،
وَالْقَادِمُونَ مِنْ الْبَعِيدِ،

يَقْسَمُونَ الْفَجَرَ
يَنْسَحِبُ الطَّرِيقُ،

يَتَابِعُ الْحِرَاسُ تَقْسِيمَ الْمَسَافَةِ،
وَالذَّرُوبُ تَضِيعُ فِي الصَّحَرَاءِ،
وَالْوَقْتُ ارْتَدَى فَصَلَ الْجَلِيدُ.

-٦-

الرَّابِضُونَ عَلَى جِبَالِ الرَّعْبِ،
يَنْتَشِلُونَ أَشْلَاءَ الضَّحَايَا
مِنْ تَفَاصِيلِ التَّرَابِ،
وَمِنْ ظِلَامِ اللَّيْلِ
مِنْ صَمْتِ الْبِلَادِ.

نَسَجُوا قَنَاعَ الْوَجْهِ،
مِنْ وَجْهِ الدُّجَى،
وَمَلَابِسَ التَّغْيِيرِ،
مِنْ نَوَّاحِ الْعِبَادِ.

-٧-

قل للشهيد:

/إذا أردت العيش بين ربوعنا/

غَضَّ البَصْرُ
/وإذا رَغِبْتَ النَّوْمَ تحت سَمَائِنَا/
صُبَّ الرِّصَاصُ بِأَذْنِكَ الوَسْطَى؛
فَإِنَّ الْأَذْنَ تَرْنِي.
رَبِّمَا الْجِلَادُ لَا يَرْضِيهِ حُكْمُ الْجُلْدِ،
فَالرَّجْمُ الْبَدِيلُ إِذَا تَجَاوَزْتَ حُدُودَ الْأَمْرِ
أَوْ أَمَعَنْتَ فِي لَفْتِ النَّظَرِ.

مَاذَا أَقُولُ لِعَصْبَةِ الشَّهْدَاءِ
/إِنْ شَقُّوا التُّرَابَ/
وَأَحْضَرُوا صُورَ الْمَعَارِكِ،
وَالْدِمَاءِ تَنْزَ مِنْ أَجْسَادِهِمْ؟
أَقُولُ:

قَدْ فَضَّ الزَّانَةُ بِكَارَةِ الْأُنْثَى،
وَصَارَ الطَّهْرُ، رَاحِلَةُ الْمَسَاءِ؟؟
أَمْ أَنْ أَعْلَامُ الْكَتَائِبِ،
غَيَّرَتْ أَلْوَانَهَا،
وَتَقَمَّصَتْ ثَوْبَ الدَّهَاءِ؟

ساودع الشيطان،
متجهاً إلى الصحرَاء،
متكئاً على أضلاع مَنْ جرفتْهُمُ الأحلامُ،
والشمس المضيئة،
ربما تحنو على جسدي،
وتمنحُ النقاءَ.
واودع الشهداء، حيثُ تجمعوا،
وأخيط من جنح الظلام قصيدتي،
وأقول للشعرَاء:
إنَّ الليلَ، لا يخشى سوى مُرِّ القصائدِ،
والدماءَ يردها سيلُ الدماءِ

لابدً من شجرٍ
يُغطي عورة الغاباتِ،
فالصيفُ،
الشتاءُ،
الرياحُ،
عاصفة الشمالُ،

تمزق الأثواب، عَنْ جسد الطبيعة،
والحياء يغور في جوف العراء.
وكأنما الأيَّام
تورقُ بالشَّمس،
وأنَّ أسماء الضحايا،
ترسمُ اللوحات،

والمنفى

يردّ

الاعتذار.



// شهوة ضمير //

في شروق الشمس،
بانت صورة لامرأة الليل،
فأرخت سجودي.

وتملأت على إيقاع جسم،
عائري في لذة الوقت،
وعانقت بذور الشهوة،
انشلت مفاتيح ندائي.

أيقظت الحان روعي،
طفلة الأمس،
وما عادت مع النور اغتراباتي،
وأسرار نشيدي.

عَدْتُ طفلاً،

أغسلُ الذنبَ بدمعي،

وأشمّ العطفَ

من أنفاس أمي.

وأرى في زحمة المشوار وحياءً،

أرسلته الرّيح فأنسل رقيقاً.

في ينابيع وريدي.

عَدْتُ، والأيام طيفاً

لمصابيح التشهي.

وأضأت العيد،

فالليرات في جيبي،

شفاه امرأة،

قبلتها،

واهتزّ عرش الحبّ،

أدمنت...،

وبعثرتُ سلاماً من سلاماتي،

وأحلاماً على أكتاف موج،

من جنون البحر،

والربانُ يرخي الحبلَ للريحِ،
ويرميني على الشيطانِ،
أحتك بحفاتِ شرودي
وتساجيني،

نداءاتٍ من الروحِ،
إلى من تنتمي،؟؟

قلتُ:

احتراق الوقتِ،
يمشي في تجاعيد جيني،
وعلى كلِّ شعابٍ،
رهبةٌ تفرع أبوابي،
وأنسى عند أعتاب جوابي،
حذر البوح
وأسرار انقادي.

عانقتي،

قبل أن يشتد عودُ الشهوة العمياء،

أعلنتُ:

بأنِّي لغةٌ للعشقِ،
أهتزّ على عرشِ المسراتِ،

أنادي:

(يا ليالي الوصلِ عودي)
وأبوح الآن بالسر،
فخذْ أغلى تلاواتي،
وأذن لصلاة الفجر يا عشق،
وسلمّتي رماد الأرض،
بارك في سجودي.

خذْ تحيَّاتي،

ودعني،
أحملُ العبء

على أكتافِ صمتي
قطْعاً من غضبِ النهر،
وأكياساً من الفقر،
وأحجارَ المعابد.

ليتنّي،

أصطادُ من عينيكِ يا أنثى،
بريقَ الوعد،
التفّ رضيعاً
يُخصِّعُ الصّدر المعانِد.

رفضتني،

ولماذا؟!

كيف؟؟!

لا أدري!!

فقد أصبحتُ رسماً،

بينَ لوحاتِ التَّحدي.

صرتُ عنواناً على الرَّمَلِ،

وأخباراً مع الطيرِ،

تلوّنتُ بلونِ (اللّمة الكبرى)

وجمّعتُ رحالي،

فوق دولابٍ

عبرتُ الجوّ،

في طائرةٍ من قصب النّهرِ،

وأوراقِ الجرائد.

♦♦♦♦♦

// جسد مُستباح° //

تطاولَ عنق النهار الغريب،
نهارٌ تجلّى على المشرقين،
مضى،

واستباحك قصرُ الشموع،
وما كنت تدري،
نهارٌ يجيء،

وليلٌ مع الريح يمضي
ربيعٌ تهاوى،
بنارِ الدّموعِ

مساؤك يأتي،
وقد أوغلت في رؤاك الدّماء.
ولستَ المكنى،
فصبحُ النّساءِ؛

فضاءً فسيحاً .

مساؤك يأتي؛
على راحتيه،
بريدُ الكلامِ
وكنْتُ الرّخيصَ،
وفي مقتلتيك نداءُ السّلامِ.
دليلُك هامٌ، بوادي الرّجوعِ.
أمانِي تركتُ على الضّقّتينِ،
بكاءَ العذارى
وعُزّي النّحيبِ

تلمُ بصمتي،
دماءُ القتلِ.
نشرتُ عليهم؛
شجوب اللّواتي.
ولذنّ بظلّ النّخيلِ،
النّواخِ.

تبارك باسم الزّعيم المفدى؛

صياح الديوك.
على جبلٍ من رماد السنين.
وتمشي على جسدٍ مُستباح.

نهارٌ مضى،
حين كنت تغطّ بنوم عميقٍ
غطاؤك خيمة وهم،
تجوب السماء.
وليلك يحدو
وكنت جدارَ الصدى
للغناء
عقرتَ لوحك ناقة صالح.
وجئتَ بقومٍ جديدٍ يصالح
وما سامحتك دماءُ الشهيد.

جياعك ناموا؛
ولم يستفيقوا،
فقد ألهبتهم سياط الرغيف
وعذت بحلم طري خفيف
بنيت حضارة مجدٍ تشظى،

على قهقهاتٍ
رُعاةِ النُّهودِ.

وقلتَ: انتهينا.

وأيّ انتهاءٍ.

بدون ابتداءٍ يعيد الشَّريدُ؟؟!

صروحك يا صانعِ المجدِ،

مالتَ على ساكنيها،

وملئتَ تحني أكفَ المساءِ،

لعلَّ الصَّبّاحَ يزفّ العريسَ.



//إلى امرأة أعرفها//

تتوحيّن مثلَ انفتاح الجروح
على شفةٍ غضةٍ نازفةٍ
رَمَتْكَ السّنونُ بسهمِ خطاياها،
وكنْتَ الدريئة،
كنتِ الرّداءَ للحنِ اليتامى،
تلوكينَ أرغفةٍ ناشفةٍ.

رأيتُ على وجهِك المستدير،
حكايةَ حزن،
يلمّ الشّظايا
وبسمةَ عشقٍ
قديم، قديم.

وفي داخل القلب،
كان النّواحُ،
وكان الخريف يلملم أوراقه الرّاجفةُ

ردّدتُ إليك لغات السّنين،
رمال الصّحارى،
دماء القتل،
وما عاد هاويل إلا ابتسامة عشقٍ تشظى
ونزف دماء
بلون المساء.
غرامك أدرك أنّ الفضاء،
كبير، كبير.
وأنّ الوصول إلى ضفة النّهر،
ليس انتصاراً،
وما يستطيع الوصول إليه،
سوى قدرٍ في عروق القتل.

تسوقين كلّ الجراح إليه،
إلى البحر.
قطعانٍ ثمّ تمنى،

وليتَّ التَّمَنِّيَ يعيد الحياة،
إلى ما نراه،
بعيداً، بعيداً.
أراكِ على لوحَةِ العُمُرِ،
لَوْتاً جديداً،
وأيقونةً،
في جدار ترمَلْ،
عند ابتداء الهوى والشَّبابِ.
فلا تعذليه،
ولا تتركي اللَّحْنَ يمشي الهويناء،
فما أسعدَ البعدُ درباً
وما أنتشَ القلبُ،
بعد اليبابِ.
أخاف عليكِ من القهرِ،
يا امرأةَ لا تلينُ.
ألمَ خطاكِ،
وأقذفها
في بحار السَّنينِ
وأخشى الرَّجوعَ إلى شاطئِ البحرِ،
حين الرِّياحِ،

تهبّ تشور
وأخشى عليك ارتفاع المياه
فإنّ الرّمال،
تجوب البحار
وما غرق البحر
بالعارفين.

أيا امرأة أدخلتني إلى مقتلتيها
أفتش عن بسمّة،
في سراب الجنون.
وعن ضحكة
في خفايا الضمير،

وصرخة ردّ على العاصفة.

♦♦♦♦♦

// وشربْتُ منْ ماءٍ حزينٍ //

الليل حولي ينسج الأفكار،
منْ خيط الحقيقة، .
والدماء تنزّ منْ بدني الجريح.
والجهد ضاق بداخل الصدر،..
الدروب...
تنوء بالنفس الذبيح؟.
وشوّشت آذان النجوم،
وراعني الفجرُ المراهق،
والسّماء حزينة،
والصبح يحلم،..
والنعاس،
وما تزال الشمس تحت ردائها،
والروح تمشي بين أنسجة الدخان،
وبين جمر فنائها،

والموت يوعدني بحفار القبور،
يدق أبوابي،

إذا انقطعت خيوط النور،
وانتشر الظلام.

أمتصّ آلامي،

وأفكاري تبعثرنني مع الصمت الطويل.
ما بين جدرانٍ وسقفٍ..

تتبت الأحران،

في ليلٍ بطيء الذكريات.

وتطير فوق شواطئ القلب الكسير نوارس،
وتسدّ باب الأفق،

أجنحة السحاب.

هجمت على الحلم البعيد،

كواسير الصمت المسجى،

حول أنوار الضحى،

والحبّ تثقله الخطى،

والقلب يشوى بالحقيقة،

مثلما النيران تسري

بين أضلاع الشموع.

وتبعثرت سحبُ المسافة،
في سماوات الرؤى،
أمتصّ منْ نهد السّخونة جرعة،
أشوي على نيران صدري،
وجبة الأمس المروى بالحنين.
جمعتُ أعمدة الدخان بقبضتي،
عسكرتُ في قلب النّوايا.
حينما اشتدّ الصراع بداخلي،
وشربتُ منْ ماء حزين.



- فجيلة هـورّة -

حلتْ جديلتها المدينة..
والدموع مشاعل،
غيمٌ تمدّد في سماء الوجه،
ينتشر الضباب،
على القناديل المضيئة..
والدخان يحيض في رحم الرّوى.

تلد المدائن عرسها،
في غفلة الصبحو المشتّت في المدى.
ومدينتي حبلى،
يدغدغها المراهق،
تنضح الأحزان من صمت الأجنة في البطون.

هبتْ لفرحتها القبور،

وزينتُ درب العذارى،
قادمات من لهيب الوقت،
يلبسن الردى.
ومدينة السُّمار،
في جنح من الليل استفاقت؛
تعزف الألحان في الصَّمْت الرّهيب.

للشدو ملحمة،
ولالأشجار أغنية الرحيل.
لبست عروستنا المساء،
وأيقظت ليل المدينة،
والهواء يمرّ من بين الحرائق،
والقلوب يلفّها ثوب السّواد.

تتباعد الكلمات عند لقائها،
سفن تشتتها البحار،
زوارق تلد العواصف،
والغيوم تجدد الليل الحزين.

تنزاحم الأضداد في شريانِ مملكة التفجّر،

للمدى قمرٌ
وللكون اتّساعٌ.

وتزيح أستار التهجّد،
ليلة العري المعنى،
والرّواي تبسط الكفين،
تستجدي،
ويفضحها العراءُ.

وتهبّ عاصفة السّموم،
على المروج الخضر،
تقتلع الزهور،
وتفسد التاج المحلى بالصقّاء.
تتراكم الكلمات في شفة السّوال،
تغور في الأنفاس أجوبة،
وينتثر الكلام على شفاة الانحدار.

أتزيح أزهار البنفسج يا خريف،
وتترك العيدان صرعى،
في مهبّات العراء؟؟؟!

أم أن فيك قساوة التهجير،
تقتلع الجذور،
وتترك السيقان تتدب غريها،
بين احتضار وانتهاء.

يتساءل المتسائلون؛
عن الذي نرفت بداخله الإجابة والدماء،
وعن الذي أرخى ستار الصبح
واعقل الضياء؟!.

وتفوح رائحة البنفسج،
من شرايين الزوابع
تمطر الأوقات لحن الانتظار.

ومدينتي خجلي،
فللترحال أغنية الأيام،
والقلوب تنط من سوط الفجعة؛
ارفعوا هذا النزيف،
ورتبوا زمن التوجه،
عند باب الانتظار.

ما كان للوَقْع الحزين،
سوى ضماد الجرح،
في /سيمون/ (١)
يشتعل التوهج،
شمعة تصحو،
وشمعات تذوب على رمال الانهيار.

وتطلّ من بين الغيوم أشعة،
وتطير فوق نعوشهن نوارس،
قدمت من السفر البعيد.

تتمايل الأشجار من خبط العواصف،
تتحني،
لوقت سيف
للرّدى قمر
يوذعه المساء
وأبو الفجيعة يصلب الأوقات،

(١) طفل نحا من الحادث الذي أوردى بحياة جميع المعلمات والسّائق في مدينة درعا
عام ستة وتسعين وتسعمائة وألف .

يسلخ جلدها،
من غير /بنج/
رقصة الموت الأخير،
على الدواليب الرخيصة،
دون وعي،
عائق الدنيا،
وأجهش في البكاء.

والليل يصحو،
والنهار يدق في نعش الأنوثة،
صرخة الأم الحزينة،
والدموع تعاتب الأمل الذبيح،
وتتدب الحظ المكلل بالسواد.

والقبر يفتتح النشيد ببسمة،
يتلو من الآيات
فاتحة البنفسج،
لانتشال الروح من غضب العفونة،
وانتقاصات الزمان

بِحَدِيقَةِ الْآلَامِ،
تَجْتَمِعُ الطُّفُولَةُ،
تَتَشَدُّ الْأَشْعَارُ،
تَتَلَوُ مَا تَبْقَى مِنْ حُرُوفِ الصُّمْتِ،
تَجْمَعُهَا عَلَى أَكْفَانٍ مِنْ رَحْلَوَا،
عَلَى ظَهْرِ السَّفِينَةِ،
وَالرَّادَى يَجْتَوِ عَلَى بَرِّ الْأَمَانِ.

١٩٩٦/١٢/٢٠

◆◆◆◆◆

- لِمَنْ أَشْكُو؟ -

لِمَنْ أَشْكُو؟!
وكلّ الناس حطوني على جسدي،
ومصّوا ريق الحاني
وخلّوني أعاني من جفاف القول،
أخلو ساعة ارتاب مع نفسي،
وأمشي مرة أخرى،
على كفين من ياسي.

لِمَنْ أحكي حكاياتي،
وما سطرّت من ماضٍ،
على أوراق ذاكرتي؛
غداً ظلاً يلزمني،
وغابت في مخايبها،
خيوط النور من شمسي.

قناديلي تنوس الآن خلف الغيم،
والأعوام متقلّة بأمواج،
تدحرجها رياح البحر،
والأثواب بالية،
وما عادت تغطي عورتى الأشجار
والراعي يبيع السهل،
والقطعان
والمرعى.

◆◆◆◆◆

- عواصف -

غبار من بقايا ليلة هوجاء،
غطى بسمة الإصباح،
في جسدي
على بوابة الآمال،
في غابات مملكة،
تنازعها حنين الأهل والأحباب،
في نفسي،
ملايين من الأطفال،
في نفسي،
شجيرات من اللبلاب،
في أعماق ذاكرتي،
صبايا يفتحمن البعد،
باسم الله،
باسم الأرض،

والدنيا على أهذاب سنبله،
على أجفان نائحة،
على قبر،
توارت فيه أسماء،
واقنعة بألوان مزينة،
وأغنية ترددها لمعجبة،
ينام الهجر في أعماق بهجتها،
على أرض مبللة،
وفي أنات مذبحة.
تذكرها بماضيها
تذكرها بصوت خافت،
ينساب في الفجر،
بآيات من القرآن،
والدنيا مكوّمة بعينيها،
ومزرعة من الأرواح والأنفس.
وصوت من أنين البعد،
يوقظها:

أنا أت أعدّ الليل،
أرمي في خزائنه،

ثياب الهجر،
أتلو من نسيج العين،
آيات على أرواح من رحلوا،
على الغابات،
والأشجار يابسة،
على زيتونة مصتوا خلاياها،
على أشلاء من زرعوا،
سياجاً للغد الآثم

يجيء الصوت محمولاً على الأيدي،
على أهداب سنبلية،
على دقات قلب،
لا يجيد الرقص،
والأنغام مقفلة،
على أسرار فرحتها.
على إيقاع أغنية ترددها:
- دعوني أكشف الماضي،
واستولي على أسرار من رحلوا،

- دعوني أقتل النسيان،
- حطوني على الأدراب عارية،
- وخطوا في جبين الغيب أغنيتي:
أنا عطشى لماء النهر والجدول
لأتربة يبعثرها فم المعول.
لفلاح يداعبه...
حفيف القمح بالمنجل.

ويوقظني بريق الوعد..
أصحو مثل أغنية مع الصبح،

تُراني!

أنبشُ الانقراضَ عن طفل أداعبه...
وعن مهر جموح يعتلي غضبي،
وعن أنفاس نائحة من الماضي،
لتسترخي على جسدي.

وأغفو مرة أخرى؛
عصافير الهوى في القلب تطربني،

وأجنحة تشقّ الصّمت.
مروحة يغازلها عشيق الريح تلفحني،
يدّ تلتفّ حول الخصر تائهة،
وأخرى تحفر الكلمات في تكويرة النّهد،
تعدّ اللّيل ثانيةً بثانية
وتكتبه...
بلا وزن.

مبعثرة عناوين الهوى والحبّ
متقلّة بذاكرة،
يشتّتتها سكوتُ الليل،
أوراق يجمعها حنينُ البعد،
في وقت خريفيّ،
وفي جوّ سديميّ،
ويرميها كما شاءت له الأقدار،
في دوامة العصر.

على أرجوحة الطرقات،
تسترخي حكايات الغد المعقود بالآمال،
أطفال تربّوا في أتون القهر،

والصياد يرميهم بسهم الجوع،
يلقي في عزائمهم،
هموم العيشِ واللّمة.

لهم في ساحة التحرير،
أجساد تتميها خلايا الشر،
في أحضان من ذبحوا وريد الحلم،
والدنيا معلقة على أثداء أرملية،
عل أجفان نائحة

وعبد الله ما زالت تساوره شكوك العصر،
أسماء معلقة على الجدران،
تجار يحطون الزمان بكفة الميزان،
أوصاف مطرزة على أكمام فرحته،..
وما زالت تلاحقه عيون القصر،
والشمس استعادت نورها الأكبر.

جمال حملوها فوق طاقتها،
مصباح تثير الدرب،
مصيصة قوافلهم،
جسور يعتليها الخوف،

في أضلاع فرحتهم،
معلقة بأحبال من الإرهاب والعسكر.
وطقطقة يليها صوت زمار،
وآلاف من الحراس،
باسم الله،
لا تمشوا على الطرقات،
فالأمطار قادمة من الصحراء،
والأجواء عارية،
وعبد الله ترصده..
عيون الليل والمجهر

♦♦♦♦♦

- ذكريات من الماضي -

- ١ -

طاعين في السين،
هذا الجبل الغارق في أحلامه،
والأرض ملهى.
في رحيل الوقت،
هاجت مدن الملح،
وما زال يعدّ الزمن الرّخو،
وينوي سفرأ عبر المسافات،
على ظهر سفينة.
أتقلّوا النّعش بجسم للغد المجهول،
واجتازوا حدود المقبرة.
يتنادون على ظهر جواد خشبيّ،
عشقه الرّيح،
فانساب على دفّة موجة.

وشوشنتني هذه الأرض،
وكانت صور التاريخ في شريانها،
أعمدة الرومان في قلعة بصرى.
ويعاد الزمن الماضي إلى ذاكرة الوقت،
ويزداد مع البعد الرحيل

عندما كنت أعدّ الحجر المرصوص في الدرب،
ويلهو في دمي الأطفال،
كان الوقت أحلى.
وزرعت الزمن الآتي،
على نبضة قلب غار في شريان منفى.

- ٢ -

عندما هاجمني الظل،
تلبست افتراضاتي،
وفي أعلى إثاراتي،
تجاهلت انتباهي.
وتحولت إلى هبة صيف،
لفحت وجهي،
وغاصت بين أعصاب البراكين،

ومرّت وأنا اللاهي؛
وصمت الشمس يشويني،
ويشوي جسدي،
قربك والبعد،
ويزداد احتراقي.
وتصوّرت بريق النور في وجهك بدرأ،
وتجمعت على أصداء روعي،
أسبر الماضي
وأمتصّ رحيقاً من شفاء اللوز،
من روح فتاتي.

حينما أسمى مع الشعر،
إلى إغفاءة الطير،
وأطوي ألمي،
تسبقني الشمس وتحنو
وأرى مزرعة العشاق في دربي،
متاهات وأغفو
وأرى فوق أديم الماء أجساداً لأحلى أمنياتي.

- ٣ -

في جناح الأهل والدار،
وفي لحظة فكر، بين سَكَن المقابر.
تحتسي شهوتها الأرض،
وتتدى جبهة الوقت،
فلا تبك،
فإن الزمن القادم ليل،
والنهارات خناجر.

- ٤ -

تترأى حولك الدنيا شباكاً،
وأرى الخمسين عاماً،
تتلف الإحساس من جسم مغادر
وأرى آخر جرح من سهام الزمن القاسي،
على أعمدتي أكذوبة
من غير شعر أو جدائل
وأراك الآن أمّاً تُلظسى،
والذي كان علي الأرضية الصماء،
رسماً من محطات قطار،
عبر الوقت وأرخى خلفه زوبعة،

عانقت الجيل،
وهاجت بين سيقان المنايا.
ليتني أبني على الأعوام جسراً،
سقه صرخة طفل،
وعلى جدرانه..
لوحات رسام وناظر.

- ٥ -

ومن الحلم أناديك،
رسول يحمل الزهر،
أناجي طيفك السباح
أبني تحت أقدامك بيتاً،
من بيوت البدو،
أرعى غنم القوم،
وألقي جسدي تحت سماء،
ساعتي نجم،
وظلي خيمة الغيم المسافر.

لا تقولي: اشتعل الشيب برأسي،
أو تقولي: وهن العظم،

فإنّي لغة أكتشف الفعل من الفاعل،
أبني من عبير الحب،
أسماءً لأنثى،
رسمت في داخلي صيحات شاعر.
وتلاقينا على لحن التراتيل،
وعشنا ألق المنفى على جذع من اللوز،
حبسنا آخر الأنفاس،
في رعدة صمت،
ودخلنا عالم النشوة،
لا ندري،
أشراً ما فعلنا،
أم بدأنا نعكس العدّ
فقد يأتي زمان الزوبعة.

- ٦ -

عاتبيني،
واهدمي أعمدة الجسر،
وصبّي أرق الليل بكأس،
واشربيني،
واشربي ما خلف الإسراف من دمّ،

وخلّي لغة الهمس تتادي شفتيا،
واطردني عن نفسك الأوهام،
واستلقي على أنغام روعي،
واعبري الدرب،
وناجي لغة الأطيّار،
وابني للهوى عشاً،
على غصن من الصفصاف،
أرخی جذره في أرض بابل.

لا تقولي:

اشتعل الشيب،
فما زال بقلبي مرح الأطفال،
في روعي،
اخضرار الزمن العابر،
والعشق جوادي

سامحيني،

ودعي النفس تعرّ الجسد الغارق في أحلامه،
عند التلاقي.
فأنا الآن بقايا

وصراخ الأمس في جسمي
شظايا،

والغد الآتي،
حريقٌ من هشيم اليوم،
يسري بين أعواد احتراقي

اغفري ذنبي،
فإني حينما جدّلت شعر الليل،
أفردت خيوط العتمة السوداء،
عند الفجر،

أفرغتُ اشتياقي
وخلعتُ الصيفَ عن جسمي،
وأبدلت ردائي،
لا تقولي صمت الشعر،
فإن الشعر صوتٌ
يختفي بين ثنايا الرّوخ،
في أنفاس تائرٍ

-٧-

لا تقولي انتحر الماضي على كفة غريبٍ،

أو تردّي
أو تقولي: شرب الدهر خطانا،
أو تحدّي

-١-

هذه أعزوفة،
من زمنٍ خطّ على أعتابه الفقرُ إشاراتٍ،
وأرخی جسداً للعشق،
في دنيا المسافات،
بقايا من ركام النفس،
/شيءٌ من لعاب الغيم/،
والطوفان في الوادي،
وقد كنّا صغاراً
لا نرى إلا ضجيج الناس،
والقطعان باتت يعترّيها الخوف
من موتٍ على ضفتيه الأخرى
ويبدون حيارى.
يبسط الماء ذراعيه على أجنحة الوادي
ويزداد التحدي.

وكما قالوا:

فإنّ الماء قد جُنّ جنونة
وبريق السّخط بادٍ في عيونهِ
إنّه ينتظر الوقت،
ليقضي الشهوة العمياء
حتّى يقبل الصّلح وترتاح جفونهُ.

- ٩ -

لا تقولي:

كبرت أجنحة الأيام
فالأطيّار يبدو ضعفا،
تبحث عن حبة قمح
ورغيف الخبز سيفاً مشهراً،
في جبهة الجوع بحدّين،
وجمع من نساء الحيّ
يرفضن التقاط السّبل الصّافي من الحقل،
فقد يبتدىء الإضراب،
من أول صوت
صادرته الزّيح
من عهد سليمان،

إلى عهد السلاطين،
إلى آخر نبتة.

وتوارثنا من القمح بذاراً
تمرغ الأرض بزرعٍ عاشرته...
هبة من زحمة الريح،
ومن قطر الهتون.
ويجيء الصبح مغموراً بصمت الليل،
مقطوراً بأهداب الجفون

- ١٠ -

لملمي يا صرخة الأمس،
نداء الكفن الغارق بالدمع،
وصبّي من دم الأعوام أحياناً على الأوتار
وأشوي جسد التاريخ،
وأكويه بنيران الشظايا،
واجعلي من غضب الدهر دواءً،
لأب ما عاد يشفيه نقيع العشب والزهر،
فهذا زمن الإبحار في دنيا الخطايا
وصراخ النفس الهارب،
لا يشفي بماء الورد،

والنيران تشتدّ إذا أزرها الرّيح وتعلو

لا تقولي:

وهنت أعمدة الصّبر،
وأحنت ظهرها الأيّام،
والدنيا على الدولاب
تجتاز المسافات،
وما زلنا نصلي من طلوع الفجر،
حتّى آخر الليل،
على جُنة هذا الميّت الآتي من البعد،
نصلي كلما عاندنا الطقس على سجادة الرّيح المسافر

ونعضّ الرّوح بالأنياب،
حيناً نشرب القهر؛
فتحمرّ شفاء الحزنِ الحاضر والآتي
ونغفو في فراشِ الشّهوة الخضراء،
نبني وطناً من دَبَقِ الماء،
ونجتاز العوائق.

♦♦♦♦♦

- بيروت -

لَمْ تَبْحَ بِبِירוْتِ بِالسَّرِّ،
وَقَدْ دَاهَمَهَا الْبُؤْسُ،
وَأَرْخَى فِي ثَنِيَّاتِ صَبَاهَا
وَجَعَ النُّومُ،
وَبُؤْسُ الْيَقْظَةِ

لَمْ تَعْذُ بِبِירוْتِ أَسْرَارِ الْحَكَايَاتِ،
وَأَلَامِ الْمَسْرَّاتِ،
وَنَبَتِ الشَّفَقَةُ

لَمْ أَجْزُ بَعْدَ ارْتِحَالِي عَنْ مَرَامِيهَا
بِحَاراً تَحْمِلُ الرِّبَانَ
وَالْأَيَّامَ سَكْرَى بِالْعَوَاصِفِ

هي بيروت،
أرى فيها حياتي
وأرى في بحرها الصّافي
حكاياتي،
وفي أرزتها
نسج الحياة الهادئة

◆◆◆◆◆

- ثورة من أجل ليلى -

...

وأزرع فيك طيوبَ البنفسج،
من شذراتِ النسيم العليل،
وأتركها نشوةً للقاح.

على صهوتين،
نردّ الرّحال،
ونبني على جبلٍ من رعايف،
خيام التلاقي
فتنزف أغنية للربيع،
وتتمو على جسد الأقحوان
براعم زهر،
تكشف عند انبلاج الصّباح

أما ألفتك الضفاف،
ومالت
على خنجر الموت،
عند الغدير،
وأغفت عيون المها
واستمالت على راحتك،
نهودُ النهار؟؟!
وعنزة...
يتأمل أسرابه التائهات،
على صرخة الزمنِ المستباح.
رواية عشق،
وقصة راح.
ويوم تنادي رجال القبيلة،
أورق حلم على ساعديه...
لليلي،...

يضمّد جرح المساء،
ويعلو على صهوات الرياح،
يللم دمع العذارى،
وتبدو على وجنتيه

دموغُ الجُراحِ.

لليلي،

يعدّ نجوم السّماءِ،
ويعلنها ثورة للعبيد،
ويمشي على وعرات الدّروبِ،
يوبّخ حرّية الشّرفاءِ.
لك النصرُ،

يا أمسياتِ الحنينِ،
فقد كنتِ حلماً،
تروين رُوحِي
وكنتِ غزاةً عشقٍ قديمٍ
تبعثر دهبُها تلك العطور
على عتباتِ الرحيل الأخيرِ
وجلجلة في فم الزوبعةُ

♦♦♦♦♦

- لقاء في وادي حزيان-

..

على شفة الحلم،

كان اللقاء.

وكان صباحك

لمعة برق،

ووعدك حرفاً

وحبك نهر

وفي مقاتيك حروف الهجاء

قرأت على قسَمات انتشائك

صرخة أنثى

يداعبها سفرٌ مستباح

أعود إليك/ وما ألفتني كؤوس المدام/

على صهوة من رموش الأقاح

أقبلَ وجنة ذاك النسيم،
وأعدو على أمسيات الدروب،
على نغمةٍ من نفير الشَّبابِ
ثلاثون أفنيئتها بانتباه
فمثلك / لو صمت العمر / صوت،
ومثلك / لو حرد البحر / موج،
فأنت الوصيَّة،
أنتِ عناق السَّحاب الطهور
تنامين فوق سرير الرِّياح
وتحضنك النُّسمة الهادئة.

♦♦♦♦♦

ـ دقات الرّحيلـ

أمنت أنّ البعد أندى من صرير القرب،
عند تلاطم الأمواج،
في الليل الخرافي الطويل.

والحلم يُدني من سعادته البداية،
في ذراع السنديان،
على بساط من حرير الوقت،
يدنو كلما انتعش الربيع على المجاهل،
زهرة حبلت بنور اللون.
فانتشر السواد على ذراع النشوة الخضراء،
في الصبح المندي،
في انتشار الضوء ما بين الزهور.
حَلِمْتُ، وكنت على مسافة خطوتين،
مِنَ الَّذِي اشتعلت بخضرته البيادر،

أرتمي،
والطفل يدنو من مياه البحر،
لا يقوى على الإبحار
والجسم المسجى نبضة
هامت على جسد من الرّوح المعطر،
وارتداء المستحيل.
من ذا يسوق إلى دمي تلك المسافات البعيدة،...
خطوتان،..

وأصعب الأوقات،
دقات الرّحيل

الليلُ آتتْنا،
وكدنا نصطلي بحرارة الصّمت،...
الحرون.

هي ساعةٌ، والعيب ينأى
والأيادي ترتدي قفازها المنسوج،
من نشوة هذا الجسد الملقى،
ويهتز السرير،

للطير أغنية ملحنة،
ولللنخل شطفاء الزهر، من بين الفصول.

يا بيدر العشاق:
هل من فارس يقوى على شدّ الرّحال،
ويحتوي سرّ الجبابة العظام،
ويكتوي بالنّار عند تفتح الشّهوات،
يلبس عرينا،
ويشمّ أنفاس التّدهور والغرور:
يا أذرعات: (١)

أما رضعت الجدّ من ضرع البطولات القديمة
من قلاع الفرس والرومان في بصرى
ومن آثار مملكة التّوهّج
من حقول القمح،
في /الخمّان/ (٢)
واليرموك ينهي غطرسات البدء، في صبحٍ إلّهي جميل.
يا أيّها العشاق:
إنّ الموت أقوى من حياة ترتدي عشق الشموع.

(١) درعا

(٢) اسم مكان يزرع بالحبوب وهو أغنى منطقة بعليّة في درعا.

سبحان من أعطى الطبيعة شكلها،
وبنى على طغيانها الناري،
صرحاً من عصيات الدموغ

يا شام:

إني عاشق،
أهواك منذ تفتّح النوار في نهديك
وانفجرت ينايع الحنان،
على الروابي الثائرات
هاتي دنان الخمر واقتربي،
وصبي نشوة العشق الإلهي القديم،
فإن في نفسي ابتهالات
وفي روعي صهيل.
أمشي على الأرض المخضبة الشريفة حافياً،
وأرى على طول الطريق،
دماء من /نحبوا/
وانتعل الطريق،
هي تربتي،

والأرض لا ترضي التهادن،
والتماع الجرح يشويني،

وتشوي جسدَ السحراب
أشلاءُ الشهيد.

أترى!

تعانقت القلوب على ضفاف الروح،
وانتعث الضباب،
وأورد الحقل ابتهاجاً،
وانتشي الليمون في الجسم الذبيح،
وأورق الشجر المعطر،
من سياج الزيزفون

هي أمّنا،

والناس يطوون الخطيئة،
والذنوب تذوب في ماء الطهارة والصدید.

قال:

اهبطوا منها جميعاً واستروا العورات،
فالله استوى فوق السماوات العلى،
وقوافل الأرواح،
راحلة إلى يوم الوعيد.

هي تربتي،

والأرض عطشى،

والليالي أوقظت سمارها،
رعدٌ على برقٍ على مطرٍ،
وتنتثر الجديلةُ،
مثلما انتثرت على طول السرير وسائدٌ،
ويخيم الصمت الرهيب على القلوب،
وتختفي لغة اللسان على ذراع اللمس،
والقبلات في ليل التشكل والحياء
ألقت جميع ثيابها،
وتشاءبت.
من بعد أن أدت صلاة الفجر،
وانتشرت أشعتها
وأورقت الجباه

هي نعمةٌ،
أنثى تجسد عريها،
وغوثه بالتفاح،
وارتعد اللقاء بلمسة الغصن المندي،
واعتلى الشجرات، وابتدأ القطاف.
صلى على الجسد الغيور،
صلاته الأولى

وأبدى رغبة أن يفتديه بالدموع..
وأن يصبّ الخمر فوق رضاها،
ليعيش أفكار التجسد،
في نسيم الانتشاء،
هي تربتي..

وأواجه الأيام فوق بساطها الشادي،
وابتدىء الزمان من المكان
حطّي جميع أصابعي،
في ليلك السّاديّ،
وأشوي جبهتي بحرارة اللّقاء،
ولا تتأملي الشمس الشريدة
حينما تصحو على المزمّار في الساحات،
يحترق الحنين على شموع المهرجان.
لا تتركيني في رحاب الصدر ساعات،
فإني ربّما أجتاز مرحلة الأمان
يا عطري المنسوج من زهر التهجد،
سامحيني، واغفري الزلات،
واسترخي على جسدي الرتيب،
ورتلّي الأحلام فوق وسادتي،

وتربعي في برزخ،
يمتدّ من روعي إلى بحر الحنان

هي أمّتي:
لكنني استحييتُ من عزم تردّد،
واستفاق لسانه العصبيّ،
يشدو ما روى مجنون ليليّ،
وابن قيسٍ
من حكاياتٍ يخبئها المكان.



- للوقت مرحلة، وللأهل احتحار-

هو الوقت،
أسرع من قبضة الريح،
يبني منّ العشق فوق الجبال هوى،
في صباح تمزق في غفلة الليل،
تستره العتمة الحالكة.
يسافر فوق قطار الرجوع،
على طرقات الهوى والحنين،
إلى بلدة الأمل النازفة.
ترافقه.. أجمل الأمنيات،
فيرفع صرحاً
ويهدم صباحاً،
ويشرب خمرتها المشتهاة،
ويعلنها صرخة عارمة.

ويعلن أن التوحّد،
ليس طريق الخلاص.
وأن التفرد بالعاشقين،
بدايةُ أكذوبةِ المرحلة.

ويقطع من شجرات التوتر،
وردة عشق،
يلونها ببريق الترهّل،
يرسم فوق حدود العذارى،
حروف قصيدته الواجفة.
هو الشّيقُ العبقرى،
تنامى على كتفيه،
وأدى صلاة الخنوع،
بغير وضوء،
على سلّة الأحرف الناقصة.

هو الصيف،
فاخلع رداءك وامض،
فإنّ العذارى على شاطئ البحر،
يخرجن من ثورة العاصفة.

على قدرٍ من رجيلِ الفصولِ،
نعدّ خطانا،

ويبدأ موسم عزف الأغاني،
على وتر الضحكة الناشفة.

هو الليلُ:

يسترُ عُرِّي النّشيد،
ويرفع عن فخذ الأمسياتِ،
أصابع من ترف العابثين،
على جُرف العورة الخائفة.

هو الصّبحُ:

فاغسلْ خدود العذارى
بدمعة عِشْقٍ،
فللعشْقِ دمعتهُ المشتّاهُ
وللدمع صرختهُ الصامتة

يحاورك الصّمتُ بعد التلوّث بالموبيقات،
ويمشي على جسمك الواعظون،

وينزع سترك قبل الصلاة،
على شفة البسمة الحارقة

تبدى نهارك،

فامسح جبين العذاب،
وسارع إلى مصدر النبع،
واشرباً.
فلنبيع قوته الدافقة

هي الأرض،

فازرع نشيد الكؤوس،
على تربة الجسد الليلي
وهيء لنفسك صرحاً علياً.
لكوكبة النور،

يحلو الكلام،

ويمشي إلى طبعك الهمجي،
ارتعاش الضجى،
واحتلام المكان،
وخمرة بسمتك الحالمة.

أُتزرعُ في شفتيكَ الكلامَ؟
وتقطفُ وردةَ عشقِ الصَّبَايا،
أصابعُ رعشتها النّاعمة؟!

هو الوقتُ،

تاجٌ مِنَ الأَقْحوانِ،
حدائقُ وردٍ
ونزفُ دماءٍ
وسنبلةُ البيدرِ الراحفةُ،

هي الأرضُ،

تمضي إلى مبتغاهَا،
ونمضي إلى ساحةِ الجرحِ نتلو:
(حماة الديار عليكم سلام)

مزيد من الشّوق،

أهلّني لاعتلاء السرايا،
أفتش عن طائر الأمنيات،
وترهقني لغة الشعراء.

فأرحل في عالم الدندنات:
(أبت أن تذل النفوس الكرام)

وثمة ما يجرح القلب،
والأمل المستباح،
تجاوز شرعته الامتحان.

♦♦♦♦♦

- جزيرة من رهاك -

فسد الدواء وفي جميع مفاصلي لهب،
وفي صمّام قلبي

كومة تلد الرماد .

في داخلي أسرار هذا الكون
في الأعصاب أغنية

حروف من سواد

فتشت في نفسي عن الأسباب،

فارتحلت قناديلي

وأشعلت الحقيقة،

شمعة بيضاء

بانت في دياجير الظلام

ونورت ظلّ المكان

ظلّ على ظلّ،

كما الأمواج يتبع بعضها بعضاً،

وتتساق الرياح إلى الشواطئ
والهوى ورد تبدى عارياً بين اختلاجات البحار
أو كلما حاولت شمّ الورد،
يفضحني الزكام؟
وتعتريني نوبة؟
وتحوم حولي هالة
مدّت ضفائر من غبار؟!
لا تقتلوني يا رعاة القوم
فالصحراء لا تقوى على جمع القطيع
وما البحار سوى سراب في شرايين العطاش.
رحلت بحاري،
عندما رحلت إلى الصحراء،
صحراء الخريطة
كيفما شاءوا
على كعب الحذاء
ضيّعت ألواني،
وقد خلطوا البياض مع السّواد
لا تقتلوني بالذي ما كان إلا دمية
صنعوا أصابعها من الخزف المزخرف

واستعاروا من دمي شربانها،
ومن العظام
ومن بياض كهولتي ريش الحرام
سموا حياتي مثلما شئتم
فإنني جمرة لا بد أن تشوي الأصابع
قبل أن تلد الرماد
كُشِفَ النقاب عن الحقيقة،
بعد ما جعلوا من اللبلاب دالية تداعبها الرياح
تخضّر أو تصفرّ عند توهج الأنوار
عارية من التعب المخضّل بالرؤى
والليل يبتلع النهار
ردّوا إليّ قصيدتي
فمعي سلاف الرّوح أغنية
وعندي ألف لون للأفخاخ.
الآن يبتدىء الجواب
ويرتمي اللّحن الشّجيّ
حمامتان تعانقان الصدر
والصّياد لا يقوى على طرق الزناد؟

ألوان فاتحة البنفسج
والنوى في زرقاة العينين دنّ للشراب
ويجيء صوت من جبال البعد،
مبلولٌ بدمع غزالة
نفرت وعاكسها القطيع،
وضيّعت شمس الإياب
لا تشغلي بالي
فعندي ألف راحلة،
وعندي دمع عاشقة
وعندي لمسة الهادي
على شيطان مملكة الغروب.
لا تتركي رسمي على جدرانك الحمراء،
يا امرأة الخطايا
فالذي كان انتهاءً
والذي يأتي
بدايات الحساب.

♦♦♦♦♦

المحتويات :

٧	// مساءات اليوم الآخر //
١١	// الوداع حقيقة في جعبة المطر //
١٧	// وجع في خاصرة //
٢١	- قانا تولد من جديد -
٤٣	// عاصفة الضياع //
٥٣	// شهوة ضمير //
٥٩	// جسد مُستباح //
٦٣	// إلى امرأة أعرفها //
٦٧	// وشربتُ من ماء حزين //
٧١	- فجيعة مدورة -
٧٩	- لمن أشكو؟ -
٨١	- عواصف -
٨٩	- ذكريات من الماضي -
١٠١	- بيروت -
١٠٣	- ثورة من أجل ليلى -
١٠٧	- لقاء في وادي حزيران -
١٠٩	- دقائق الرحيل -
١١٧	- للوقت مرحلة، وللأمل امتحان -
١٢٣	- جزيرة من رماد -





رقم الإيداع في مكتبة الأسد الوطنية ،

شراع وعاصفة : شعر / محمد ابراهيم عياش -
[دمشق]: اتحاد الكتاب العرب، ١٩٩٨ -
١٢٧ ص؛ ٢٠ سم.

٢- العنوان

١- ٨١١,٩٥٦١ ع ي ا ش

٣- عياش

مكتبة الأسد

ع : ١٩٩٨/١/٧٢





هذا الكتاب

مجموعة من الشعر الوجداني يميزها مخيلة خصبة
ولغة صاخبة عذبة متفجرة بالموسيقا.
ونضج فني واضح وقدرة على ابتكار الصور الجميلة
الموحية وعلى استخدام رموز تاريخية غنية بالاحياءات
وجرأة في النفاذ إلى جزئيات الأشياء وثايبا الوجدع ويميز
مقطوعات هذه المجموعة بغنائية عذبة وهمس وجداني
شفيف.